

القذافي... والحديث الأكثر تميزاً*)

ليبيا اللبنانية. ليبيا الذرية.

ليبيا التصنيع في الصحراء.

ليبيا الفلسطينية - السورية - المصرية



لقاء على مستوى القمة بين العقيد معمر القذافي و"النهار" بشخص ناشرها ورئيس تحريرها غسان تويني وفؤاد مطر. وقد جرى اللقاء في منزل العقيد القذافي - من باب التكريم - مساء يوم الخميس 4 يناير/كانون الثاني 1975.

(*) كلام القذافي عموماً في هذا اللقاء جاء بعد جولات من النقاش والنصح من جانب عبدالناصر وعندما كان أوضح له أن من هو مؤهل ليكون أميناً للقومية العربية من بعده وقادراً على تحقيق عمل وحدوي يحتاج في الدرجة الأولى إلى إستنهاض علمي-زراعي-صناعي-معرفي يصل إلى مرتبة الثورة المتكاملة.

بدا لي العقيد معمر القذافي هذه المرة أكبر من سنه بخمس سنوات على الأقل. والمرة السابقة التي رأيته كانت قبل نحو تسعة أشهر. لعل المعاناة الناشئة عن ظروف حرب رمضان وما جرى بينه وبين الرئيس السادات هي السبب في ذلك. أو لعل تلك الظروف مضافة إليها خيبة أمل العقيد القذافي من قضايا كثيرة هي السبب. وهذا اللقاء مع الأخ معمر - وهي التسمية التي يود من الآخرين مناداته بها - كان أشبه بندوة، وليس مجرد لقاء بين حاكم وصحافي.

ذهبنا إليه لنجتمع في مكتبه في مبنى مجلس قيادة الثورة في باب العزيزية فإذا به يطلب من مساعديه إيصالنا إلى منزله لأنه شاء أن يضيفي على الجلسة جواً خالياً من أي رسميات علماً أنه ضد الرسميات وطقوس البروتوكول. وإستقبلنا في صالون مستحدث ليس راضياً عنه لأن نسبة الترف فيه تفوق نسبة البساطة التي يفضلها. وكان يجلس على كنبه ويرتدي ثياباً بسيطة جداً من النوع الذي لا يخضع للموضة، ويتفرج على التلفزيون. وتلك وسيلة التسلية الوحيدة عندما يسمح له الوقت وعندما لا تكون هنالك إجتماعات ولقاءات ورحلات تفقد للناس القابعين في بطون الصحراء.

كنا ثلاثة: غسان تويني ومروان حماده - وهما يجتمعان به للمرة الأولى - وأنا. فريق يمثل «النهار» وفريق آخر يمثل «الأوريان - لوجور».

وقبل أن نذهب إليه حدث أمران: الأول أننا قمنا بعملية إستطلاع لما يجري في طرابلس كنموذج لما يجري في كل ليبيا. وكان الأمر مدهشاً. هنالك ورشة بناء لا مثيل لها. ومن الواضح أنها لن تنتهي إلا عندما تدخل ليبيا الثمانينات وقد أصبح لكل ليبي منزل، وأصبحت ليبيا على أبواب الصناعة الثقيلة. الأمر الثاني كان عبارة عن جولات في أفق الثورة الليبية مع وزير الدولة محمد الزوي الذي أوكل إليه أمر الإعلام الداخلي. وإستناداً إلى مفاهيم الزوي وديناميكيته يمكن الافتراض أن الرجل سينجز الكثير. بدأت الجلسة مع العقيد القذافي في التاسعة من مساء الخميس 9 يناير /كانون الثاني 1975 واستمرت نحو ثلاث ساعات.

كان الأخ معمر في غاية التألق لكنه بدا لي هذه المرة ميالاً بعض الشيء إلى التحفظ بالنسبة إلى بعض القضايا. على سبيل المثال: ما يجري في مصر. الدولة الديمقراطية في فلسطين. وضع سوريا الدقيق بالنسبة إلى حل أزمة الشرق الأوسط.

لماذا هذا التحفظ، بل هذا التهيب؟

لا بد أن الأخ معمر يأخذ في الإعتبار دقة الوضع القابل للإنفجار. ولذا جاء في كلامه ما هو للنشر، وما هو لغير النشر. وطبعاً إن الكلام الذي سيرد هو المباح نشره.

الصراع مع الصحراء ... والتصنيع

حول هذه النقطة قال القذافي:

«نحن في حال صراع مع الصحراء. هذا صحيح. ونعمل لتحقيق الثورة الزراعية ولتحقيق ثورة صناعية. ويهمني

جداً أن تكون مسألة الثورة الزراعية واضحة. إننا بلد منتج للنفط. هذا لا يكفي. هنالك أزمة غذاء عالمية وأنا أربط بين الغذاء وحرية الإنسان ومن أجل ذلك نزرع ونستصلح الأرض ونحوّل الرمال الصفراء إلى أرض خضراء. في استطاعة الدول الكبرى أن تفرض علينا حصاراً غذائياً. إذا حدث ذلك فمعناه أننا سنفقد حريتنا واستقلالنا من أجل القمح وبقية المواد الغذائية. ولو أن الحصار إستهدف أموراً أخرى لما كانت المخاوف من النوع الذي يُقلق. لو أنهم مثلاً رفضوا مدناً بالكراسي والساعات والآلات الكهربائية لإستطعنا إذا كان القمح والمواد الغذائية متوافرة أن نصمد ونحافظ على إرادتنا حرة. إن قاعدة الحرية هي في لقمة العيش. إنني أستطيع العيش من دون ساعة أو جهاز تلفزيون أو كرسي، لكن إرادتي ستسقط إذا كنت محتاجاً إلى لقمة العيش.

ونحن من اليوم الأول للثورة أدركنا هذه المسألة. أدركنا أنه يمكن العيش في الكهف ولكن من غير الممكن العيش من دون غذاء. وأدركنا أنه يمكن الاستغناء عن الكهرباء ولكن لا يمكن الإستغناء عن القمح. أدركنا أنه يمكن المواطن الليبي أن يعيش تحت شجرة حراً إذا كان الغذاء متوافراً، ويجب ألا يعيش في ترف إذا كان ثمن هذا العيش سلب إرادته. ومن هذا الإدراك قررنا أن نقوم بثورة زراعية وهو ما يجري حالياً. واليوم الذي سيحدث فيه إكتفاء ذاتي بفضل هذه الثورة الزراعية ليس بعيداً.

صحيح أن لقمة العيش التي تكفي مواطناً في حال إجتماعية معيّنة لا تعود ممكنة بعد أن يدخل عصر الثورة الصناعية، إلا أن المهم كمرحلة هو أن يصل بالإرادة الحرة إلى تحقيق بقية الثورات الإجتماعية ومنها ثورة التصنيع. الضرورة الأساسية الآن هي ألا تقع الإرادة العربية الليبية فريسة أمزجة الدول التي تحتكر الغذاء وأهوائها وسياساتها. ومن الطبيعي أنه بعد أن يتأمن اكتفاء ذاتي من خلال الثورة الزراعية سيكون الإنتقال إلى تحقيق بقية الثورات الإجتماعية سليماً إلى حد ولا تعترضه أي معوقات.

وثورة التصنيع هي الهدف الثاني بعد الثورة الزراعية. ونحن لا ننتظر إنتهاء الثورة الزراعية لنبدأ الثورة الصناعية، إنما نعمل في الثورتين معاً وإن يكن من الطبيعي أن الأولوية للثورة الزراعية. إننا شعب يحتاج إلى كل شيء. إلى القلم الذي يكتب به أولادنا والملابس التي نرتديها.. ناهيك بالحذاء. ووجدنا أن إستمرار الحال على ما هي مسألة غير منطقية فأنشأنا مصانع لتأمين هذه المتطلبات. وتلك في أي حال صناعات خفيفة. وبعد ذلك ستبدأ الصناعات الثقيلة. سنقيم مصنعاً للسيارات والجرارات. وستكون عندنا صناعة للسفن وسننشئ مصانع للحديد والصلب بعدما إكتشفنا أن لدينا ثروة ضخمة من الحديد».

هل تصبح ليبيا دولة ذرية؟

حول هذه النقطة قال القذافي:

«أتصور أن الذرة ستصبح ذات يوم ضرورية مثل الكهرباء. ستصبح أمراً عادياً، تماماً كما حدث لأشياء أخرى. وكما يقال الآن إن الدولة الفلانية تملك خمسين طائرة ودولة أخرى تملك خمسمئة طائرة، فإنه سيأتي يوم يقال إن الدولة الفلانية تملك ثلاث قنابل ذرية ودولة أخرى تملك عشر قنابل، وهكذا...»

إن الذرة في المستقبل لن تكون إحتكاراً وسراً. وفي الأمة العربية طاقات ضخمة وعلماء كثيرون في قدرتهم تحقيق كل شيء إذا توافر لهم الجو المناسب. ونحن في ليبيا قررنا أن نبني مدينة للعلماء العرب بحيث تستفيد الأمة العربية منهم لا أن يستمروا مشتتين في دول العالم. ولقد أخذنا في البداية في الإعتبار الظروف التي جعلت العلماء العرب يتركون بلادهم ويفضلون العمل في دول أخرى، وقررنا إيجاد الظروف والشروط التي تلائم هؤلاء العلماء. وهذا الهدف ليس جديداً. لقد وضعناه نُصب أعيننا بعدما قامت الثورة وبدأنا اتصالات في العالم كله مع العلماء العرب

وإستعنا بجمعيات صداقة لنستدل على بعض العلماء وعناوينهم. كذلك إستعنا بالجامعة العربية التي قامت بمحاولات من جانبها. وهكذا فإننا لم نعلن عن مدينة العلماء إلا بعدما أنجزنا معظم الإتصالات. ولقد قام الرائد عمر المحيشي بإتصالات مع علماء عرب في الولايات المتحدة. ونحن سعداء بهذه المنافسة أو هذه الحرب التي تسمونها «حرب العلماء» على أساس أن مصر تقوم من جانبها بمسعى مماثل والعراق يقوم بمسعى آخر. إن الذي يهمننا هو أن يعود العلماء لكي تستفيد منهم أمتهم. ونحن في ليبيا لا ننظر إلى الأمور من زاوية إقليمية ضيقة. العلماء الذين يعودون إلى مصر سيفيدون الأمة كلها. والعلماء الذين يعودون إلى العراق سيقومون بدور مماثل وهكذا... لقد كان الأمر محزناً أننا دول متخلفة وعندنا من العلماء كثيرين يعملون خارج أمتهم. وإننا نأمل في أن نعوّض ما فاتنا، فيعود العلماء ليفيدوا أمتهم. الذي لا تحتاج إليه ليبيا قد تحتاج إليه مصر. والذي لا تحتاج إليه سوريا قد يحتاج إليه العراق. والذي لا يحتاج إليه السودان قد يحتاج إليه اليمن...

ويهمني أن ألفت الانتباه إلى أننا كخطوة أولية نحو مدينة العلماء أصدرنا قبل ثلاثة أيام (الإثنين 6 يناير/كانون الثاني 1975) قراراً بإنشاء معهد الإنماء العربي. والذي وضع قانون المعهد ليس نحن إنما العلماء الذين إتصلنا بهم. كل واحد كان له تصوّر ثم صيغ القانون وفق هذه التصورات. ونحن بذلك نريد أن نؤكد للعلماء أننا معهم في أي طريقة عمل يرونها مناسبة".

ليبيا والعالم العربي سنة 2000

حول هذه النقطة قال القذافي:

«السنة 2000، أي بعد 25 سنة. وما سيحدث بعد 25 سنة سيكون نتيجة تفاعلات لا نستطيع أن نجزم في شكلها ونوعيتها.

قبل أيام تحدثت في المؤتمر القومي للإتحاد الاشتراكي العربي فأبلغتُ الناس أنه في مدة عشر سنين على الأكثر ستُحل مشاكل الفرد الليبي، من مشكلة المجاري إلى الزراعة إلى الصناعات الإستهلاكية إلى محو الأمية. وأنا قلت هذا الكلام لأن أمامي خطة. ولقد تحدثتُ إستناداً إلى هذه الخطة التي حدّدنا فيها كم سيكون عدد المنازل بعد عشر سنين وكم سيكون حجم المناطق المزروعة وكم مصنعاً سيُنشأ وهكذا... ستُحل المشاكل التي يتحدث الناس عنها الآن وفق الخطة التي وضعناها. إذاً، إننا عندما نحدد ذلك فلمعرفة بواقعا وإلمام بقدرتنا وإستناداً إلى خطة وضعناها.

أما بالنسبة إلى العالم العربي فلا أستطيع أن أرسم صورة له لأن إرادات كثيرة تتقاسمه. كل حكومة إرادة سياسية. وتفاعُل هذه الإرادات السياسية والحزبية واليمينية واليسارية هو الذي سيحدّد الصورة التي سيكون عليها العالم العربي بعد 25 سنة. وأنا لا أستطيع أن أرسم تصوراً محدّداً لأن مثل هذا التصوّر قد يبدو خيالياً بعض الشيء».

«الكتاب الأخضر»... والنظرية الثالثة

حول هذه النقطة قال القذافي:

«إننا قريباً سنضع «الكتاب الأخضر» وفيه نحدد الطريق الثالث الذي ننادي به بديلاً عن الشيوعية والرأسمالية. من الخطأ أن نخلط بين الشيوعية والإشتراكية. الإشتراكية ليست الشيوعية أبداً. وفي «الكتاب الأخضر» سنحدد للعالم مفهومنا للإشتراكية كما سنحدد مفهومنا للإقتصاد الإشتراكي الذي هو غير الإقتصاد الشيوعي وغير الإقتصاد

الرأسمالي. وفي «الكتاب الأخضر» أيضاً سنحدد القضايا الأساسية للإنسان. قضاياها الداخلية والخارجية. كيف يحكم نفسه بنفسه. هل يحكمه ديكتاتور أو طغاة. هل يحكمه المدنيون. هل يحكمه العسكريون. إن مسألة الحكم كانت في استمرار مشكلة طالما أدت في بعض الدول إلى إنقلابات، لكن هذه الإنقلابات فشلت في تحديد طريق الإنسان. وسنحدد أيضاً قضية الحرية التي هي عبارة عن حال صراع مستمرة داخل نفس الإنسان. وسنحدد أيضاً شريعة المجتمع وكيفية تطبيقها ومن يشرف على تنفيذها وإذا حدث خطأ في التطبيق والتنفيذ على من تقع المسؤولية. إن شريعة المجتمع ليست مسألة سهلة بحيث يضعها مجلس نواب أو مجالس مشابهة وتتم الموافقة عليها عبر إستفتاء. المسألة أهم من ذلك بكثير. إن المسألة لا تقاس بنعم أو لا. ولنأخذ على سبيل المثال الإستفتاء الذي أجراه ديغول على شخصه. لقد قال البعض لا في هذا الإستفتاء وقال البعض الآخر نعم. وفي إعتقادي أن الذي قال لا لم يقلها إحتجاجاً على شخص ديغول إنما قالها ضد أشياء لا يريدونها. كذلك الحال بالنسبة إلى الذي قال نعم. لقد قالها تجاوباً مع أشياء يريدونها.

وفي «الكتاب الأخضر» سنقول رأينا في أسلوب الحكم وفي القضية السياسية عموماً، وفي القضية الإجتماعية وقضية الدين والدولة والإنسان وفلسفة الحياة. وسنحدد شريعة المجتمع بحيث لا يحدث حولها صراع أو خلاف وبحيث تكون هي العرف المعمول به. وسنحدد كيف يجب أن يحل المجتمع مشكلة من يخالف هذه الشريعة. وإذا نحن إستطعنا أن نقدّم للعالم كيف يمكن أن يحل المجتمع مشاكله فإننا نكون بذلك قدّمنا عملاً كبيراً وإذا نجحنا في تقديم هذا الشيء ولم يرفضه أحد يكون عملنا هذا عظيماً جداً.

ولقد أنجزنا حتى الآن الفصل الأول من «الكتاب الأخضر» ونعكف على وضع الفصول الأخرى. وقد ننشر كل فصل في كتاب أو ننتظر وضع كل الفصول لإصدارها في كتاب واحد هذه السنة".

ندوة باريس: ماذا بقي منها؟

حول هذه النقطة قال القذافي:

"كانت هذه الندوة عملاً مهماً جداً ولكن الذي يفتننا نحن العرب هو المتابعة سواء في الداخل أو في الخارج. أحياناً نطرح قضية ثم ننساها أو نضع خطة ثم نأتي بعد سنتين أو ثلاث سنوات ونبدأ البحث عن خطة جديدة من دون أن نكون أنجزنا الخطة الأولى. ونحن في ليبيا نحاول على قدر الإمكان التخلص من هذا الداء. ولنأخذ مثلاً ما يحدث في مؤتمرات القمة وإجتماعات الجامعة العربية: إننا نضع قرارات معينة في إجتماع أو مؤتمر. وفي المؤتمر التالي نتناسى أو نتجاهل قرارات المؤتمر الأول ونبداً البحث لوضع قرارات جديدة. إننا لا نبدأ من حيث إنتهينا إنما نبحث دائماً عن بدايات جديدة وهذا خطأ.

إن ندوة باريس كان من الضروري متابعتها. وعندما أقول ذلك لا أقصد أنه كان ذلك مطلوباً من ليبيا لأنه من غير المفيد والمنطقي أن تتولى دولة واحدة ذلك. ولا أعرف لماذا لم تُقدّم دول عربية أخرى على عقد ندوات مماثلة خصوصاً أن ندوة باريس كانت من أجل فلسطين في الدرجة الأولى. والقضية الفلسطينية لا تهم ليبيا وحدها، أو في الأخرى يجب ألا تهم ليبيا وحدها. لقد كان مفروضاً في كل الدول العربية متابعة نتائج ندوة باريس والإستمرار في عقد ندوات مماثلة. إن ندوة باريس لم تكن من أجل ليبيا. كانت قومية وتهم كل سياسي أو كاتب أو مفكر عربي. وكانت ليبيا وسيلة فقط.

وفوق ذلك هنالك ندوات عربية تُعقد في الخارج تنظمها هيئات طالبية أو شخصيات سياسية وفكرية. حتى هذه

الندوات يجب أن تتم في إطار نوع من التنسيق بحيث لا تقول جماعة كلاماً يناقض كلام جماعة قالتها قبلها».

تظاهرات مصر... والقمة الثلاثية

حول هاتين المسألتين قال القذافي:

"إني على استعداد للمشاركة في أي إجتماع لكن الأمزجة العربية من النوع المتقلب. أما التظاهرات التي شهدتها القاهرة فليست عندي معلومات في شأنها، إلا أنه يمكن الإستخلاص أن ما يحدث هو نتيجة رد فعل لأمر كثيرة وتساؤلات كثيرة تتراكم منذ حرب رمضان. إضافة إلى أن مشاكل العالم تنعكس على مصر، ولأنها بلد فقير وكثيف السكان فإن المشاكل فيها تظهر في سرعة.

ولا بد أن في التساؤلات التي يطرحها المواطن المصري الجواب عما يحدث. إن هذا المواطن لا بد أن يتساءل: لماذا توقفت الحرب؟ لماذا حدثت ثغرة الدفرسوار؟ لماذا لم نصل إلى المضائق؟ لماذا إنسحبت القوات من الشرق بعدما قامت بعملية العبور العظيمة؟ لماذا خسرننا؟ ولماذا لم نكمل؟ لماذا حدث ذلك ولم يحدث شيء آخر؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ إني أرد أسباب التظاهر إلى الحاجة والجوع من جهة وإلى هذه التساؤلات المتركمة من جهة أخرى. وإذا جاز التشبيه فإن ما يحدث الآن بالنسبة إلى المصري يشبه ما يحدث لشخص تُطلق عليه رصاصة. في البداية لا يشعر أن رصاصة دخلت جسمه لكنه بعد فترة قليلة جداً يبدأ الشعور بالألم خصوصاً أن الرصاصة أحدثت له نزفاً. لا يمكن أن نفصل الأسباب بعضها عن البعض وهذه الأسباب في مجملها تشكل بالنسبة إلى الناس أرضية صالحة للتظاهر والتعبير عما يدور في نفوسها. هذا جو عام. هنالك إتجاهات وجماعات تريد أن تُعبّر عما يضايقها. أما من حرك هذه الجماعات فتلك مسألة ثانوية. المهم أن هنالك إستعداداً للتجاوب مع أي شرارة ومن المؤكد أنه يصعب على أي كان تحريك الناس لو أن نفوسهم غير مهياًة. إن المسألة مسألة تفاعلات وما كان لأي شخص أو اتجاه أن ينجح في تحريك الناس لولا هذه التفاعلات المتركمة. إن الذين خرجوا في تظاهرات إنما خرجوا بفعل نفسيتهم التي فرضت عليهم التجاوب مع أي دعوة إلى التظاهر. إن الناس محشوة في مصر وإذا كان أحد الشيوعيين، أو إذا كانت مجموعة شيوعية خرجت تدعو إلى التظاهر ودافعها الإحتجاج لأن زيارة بريجنيف ألغيت أو تأجلت، فإن الناس المحشوة التي خرجت لم تتجاوب للهدف نفسه إنما لأسباب أخرى كثيرة. كل إنسان تظاهر إنما كان يتظاهر لسبب خاص به. إني متأكد من أن أكثرية الذين خرجوا يتظاهرون لا يعرفون أن بريجنيف أجل زيارته أو أنه كان سيزور مصر، أو على الأقل لا يعينهم من قريب أو من بعيد هذا الأمر. لديهم أسبابهم الخاصة. في نفوسهم إستعداد للتجاوب مع أي دعوة إلى التحرك.

أما مسألة تأجيل زيارة بريجنيف لمصر فتقديري أنها ناشئة عن عدم تفاهم بين الزعماء السوفييات والرئيس السادات، والتأجيل أو الإلغاء علامة احتجاج سوفيياتية على ذلك. وأود هنا الإشارة إلى أنني ذات مرة تحدثت مع الرئيس السادات في موضوع أميركا والإتحاد السوفيياتي وقلت له إن مصلحتنا هي أن نكون على الحياد الإيجابي، أما إذا أمكننا تحييد أميركا فذلك يكون أمراً مهماً. إن عدونا الأساسي هو إسرائيل وليس أصدقاء إسرائيل. وقلت له أيضاً إنه إذا إرتمينا على الإتحاد السوفيياتي فإن ذلك سيجلب علينا المبالغة في وقوف أميركا إلى جانب إسرائيل. وحديثنا هذا كان في أيام السعي إلى توحيد مصر وليبيا. ووجهة نظري هذه كانت في شأن السياسة الخارجية للدولة الجديدة. لقد قلت هذا الكلام مراراً للرئيس السادات لكن الذي حدث بعد ذلك هو على ما يبدو إنتقال من الشرق إلى الغرب».

معركة الجنوب اللبناني... والعرض الليبي

حول هذه المسألة المهمة قال القذافي:

«لقد اجتمع مجلس الدفاع العربي وقرر تقديم المساعدة للبنان. ونحن في ليبيا نحترم أي شيء نتعهد به. وكان من المفروض أن تقوم الدول العربية بتنفيذ ما تعهدت به، ولكن يبدو أن الأكثرية اكتفت بأنها اجتمعت وقررت وأنهت الاجتماع على رغم أن إسرائيل مستمرة في حربها وإعتداءاتها. ومن العار أن تكون منطقة مثل جنوب لبنان تتعرض للإعتداءات الإسرائيلية يومياً ولا تقف الدول العربية كلها لمؤازرتها ومساندتها. ثم إن الدفاع عن جنوب لبنان بكل الوسائل ليس قضية مستحيلة بالنسبة إلى الدول العربية. وإزاء هذا الوضع وجدنا أن عليّ المبادرة فإستدعيّت السفراء العرب وأبلغتهم أن ما يحدث في جنوب لبنان يتطلب وقفة عربية قوية وأنه من العار التفرج فقط وأنه على الأقل يجب إحترام القرارات والتعهدات التي تم إتخاذها. وقلت لهم إنه من العار على الأمة العربية أن تكون هناك منطقة واحدة تشتعل والكل يتفرج عليها. وأبلغنا الجامعة العربية بمذكرة رسمية أننا سننفذ ما تعهدنا به من التزامات في مجلس الدفاع العربي. وجاء إلى ليبيا وفد عسكري لبناني تناقشنا معه. وكانت المناقشات عسكرية بحتة. ثم أرسلنا إلى لبنان وفداً برئاسة مسؤول عسكري كبير درس الوضع الدفاعي في الجنوب على الطبيعة كما عقد محادثات كثيرة مع عسكريين لبنانيين. ووضع الوفد تصوره لخطة دفاعية. وعاد الوفد ورفع إليّ تقريراً مفصلاً صادقاً عليه. وأعتقد أن الجانب اللبناني تأكد من نيتنا ورغبتنا في المساعدة لردع العدوان عن لبنان وأن تنفيذ ما تم الإتفاق عليه يحتاج إلى إشارة لبنانية».

علاقات لبنان بالمقاومة الفلسطينية

حول هذه المسألة قال القذافي:

«إن الموقف اللبناني موقف تاريخي لأن لبنان في النهاية هو الذي إحتضن المقاومة الفلسطينية. لقد سُدت كل الجبهات العربية في وجه المقاومة بعدما ضُربوا أو أُخرجوا أو سُدت الجبهات في وجوههم سوى الجبهة اللبنانية. ومن هنا الموقف التاريخي للبنان. لقد إحتضن لبنان المقاومة. وفي كل مرة كانت تحدث بوادر خلاف قد يؤدي إلى كارثة كان الفريقان اللبناني والفلسطيني يتنبهان إلى ذلك ويحولان دون حدوثها. لقد أصبح لبنان معقل المقاومة الفلسطينية وعلى العرب جميعاً الوقوف معه والإشادة بموقفه. ولو حدث شيء لا سمح الله للمقاومة في لبنان لكان معنى ذلك كارثة كبرى للقضية.

تبقى سلامة المواطن في جنوب لبنان. هذه مسألة نأخذها في الإعتبار والفكرة القائلة بإقامة قرى محصنة من نوع «الكيبوتز» فكرة نحن على إستعداد لمساندتها إذا أخذ بها. كما أننا على إستعداد للمشاركة والمساهمة في أي خطط تستهدف تحصين الجنوب والجنوبيين».

الحكومة الفلسطينية و«سنة أبو عمار»

حول هذه النقطة قال القذافي:

«إن الأخ أبو عمار يردد في إستمرار أن الحرب الخامسة ستقع ولكنني لا أعتقد أن ذلك هو الجواب عن قوله أن سنة 1975 هي سنة التصعيد. ربما كان قصده من ذلك أن الحكومة الفلسطينية ستعلن هذه السنة. تأتي إلى قضية الحكومة الفلسطينية، هذه القضية هنالك نزاع حولها بين الفلسطينيين. وأن تشكيل الحكومة الفلسطينية سيقطع الطريق على قضايا كثيرة وسيحول دون تدخلات وتداخلات أطراف عربية ودولية كثيرة، ذلك أنه إذا قامت مثل هذه الحكومة وشاركت فيها كل المنظمات فإن هذه المنظمات ستعامل بعد ذلك على أنها جيش تحرير.

أي بمعنى آخر ستطبق على هذا الجيش كل الحقوق والواجبات التي تطبق على أي جيش في العالم. إذا أُسر فرد من هذا الجيش يعامل كأسير حرب.. وقس على ذلك. إذا قامت هذه الحكومة بإعادة كل المنظمات فإنه لا يعود في إستطاعة دولة عربية أو دولة أجنبية صديقة أن تتدخل كما يحدث الآن.

والمنظمات الفلسطينية التي ترفض بيع رفضها من أن تكون الأرض التي ستقام عليها السلطة الوطنية هي الحدود النهائية بالنسبة إلى أرض فلسطين أو الدولة الفلسطينية. ومن هنا المأزق الذي لا بد من حله.

وهناك حقيقة أخرى مهمة هي أن العالم في أكثريته الساحقة اعترف حتى الآن بمنظمة التحرير. وإذا تألفت حكومة فلسطينية تمثل هذه المنظمة فإن العالم استطراداً سيعترف بهذه الحكومة. ولقد كان العالم يعترف فقط بالكيان الإسرائيلي على حساب الكيان الفلسطيني لكن العالم وصل إلى قناعة جديدة هي أنه سيعترف بكيانين: الكيان الإسرائيلي والكيان الفلسطيني. لقد أصبح العالم مهيباً للاعتراف بكيانين وهذا الاعتراف سيؤدي إلى معالجة المشكلة. إن العالم لا يمكن أن يتراجع الآن عن الاعتراف بالحكومة الفلسطينية بعدما اعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية. وفوائد ذلك كثيرة منها على سبيل المثال أنها ستتخذ طابعاً رسمياً. وإذا كانت هذه الحكومة تريد الإتصال بدولة ما فإنها ستتصل مباشرة بالصفة الرسمية وليس بواسطة أطراف أخرى. سيعامل وزير خارجية فلسطين كما يعامل وزير خارجية أي دولة أخرى. إن سفير حكومة كمبوديا الموقته يعامل كسفير لأي دولة معترف بها. وعندما يتحرك رئيس حكومة فلسطينية فإنه سيكون لتحركه وقع أكثر من تحركه كرئيس لمنظمة التحرير. إن لكل قضية جوانب إيجابية وأخرى سلبية لكن الجوانب الإيجابية لتشكيل حكومة فلسطينية كثيرة جداً. ولقد اجتمع عدد كبير من حكام العالم وناقشت وإياهم مسألة الحكومة الفلسطينية ووجدت أن معظمهم يرحب بقيام هذه الحكومة وهو مستعد للاعتراف بها.

المشكلة الأساسية: سوريا

«إن إسرائيل ستسحب من الأراضي العربية إذا أعلن العرب رسمياً موافقتهم على إنهاء حال العداء معها. ونحن في ليبيا لن نوقف هذا العداء وموقفنا واضح تماماً من هذه القضية. إن إسرائيل لم تتسحب من الضفة الغربية للقناة إلا بعدما فرضت إنسحاب الجيش المصري من الضفة الشرقية للقناة. والمشكلة برمتها في رأيي هي في الجبهة السورية. كل الجبهات لها حل. الجبهة المصرية لها حل. والأردن إتخذ موقفاً إلى الوراء. وأخشى أن يقرروا وضع بوليس دولي على حدود لبنان مع إسرائيل من أجل وقف أي عملية وبحيث لا يعود في قدرة الفلسطينيين القيام بنشاط. ومن الآن لا بد من إستحداث ضغوط للحؤول دون ذلك. الجبهة الخطيرة هي جبهة سوريا وستبقى الحرب قائمة في إستمرار بين السوريين والإسرائيليين. ولولا المسألة السورية لكانت المشكلة حُلت على كل الجبهات بشيء من التنازلات. ويقولون إن هذه مرحلة موقته وأن علينا أن نبنى أنفسنا. بين مصر وإسرائيل يمكن أن تكون غزة أرضاً فلسطينية وحاجزاً وعلى الجبهة الأردنية يمكن أن يعتبروا الضفة الغربية حاجزاً بين الأردن وإسرائيل وبالنسبة إلى لبنان يمكن أن يضعوا البوليس الدولي. تبقى سوريا: إن الجولان أرض سورية وليس ممكناً بقاء القوات الدولية أو القوات الإسرائيلية هناك في إستمرار».

قضية النفط وتهديدات كسينجر

حول هذه المسألة قال القذافي:

«بالنسبة إلى المؤتمر الذي دعا إليه الرئيس هواري بومدين، نوافق على عقده وقد أبلغت السفير الجزائري ذلك.

أما بالنسبة إلى التهديدات فيبدو عدم الحديث عنها أفضل لأنه قد يكون الغرض من إطلاقها هو إغراقنا في الحديث عنها. ونحن في ليبيا نتجاهل مثل هذه التهديدات حتى لا نشارك في تحقيق الغرض الأصلي من إطلاقها. ونحن على رغم موافقتنا على دعوة الجزائر ومشاركتنا في مؤتمرات الدول المصدرة للنفط، فإننا لا نرى أن الحل الإنساني للمسألة هو كما يعالج. إن الأمر الأساسي الذي يجب أن يعالج هو أن ننفي التهمة الموجهة إلى الدول المنتجة للنفط بأنها هي السبب في زيادة أسعار السلع في العالم الذي دخل مرحلة من التضخم لا بد من معالجتها. والحل في رأينا هو أن يلتقي العالم ليحل مشكلته. إننا متهمون بأننا منكتلون ضد الدول التي تستهلك النفط وتشتريه منا وفي هذا ظلم حقيقي. إنه من الممكن أن نقلب الآية بحيث تصبح المسألة كالاتي: الدول المصدرة للصناعة والدول المستهلكة لهذه المواد الصناعية.

حل المشكلة هو أن يجتمع العالم كله إذ أن العالم يملك مواد مكملة بعضها للبعض. ونحن نريد أن يهدأ العالم قليلاً ومنتظر تحقيق دعوة الرئيس بومدين لكي نحرك المسألة بعد ذلك - ربما - في إطار الأمم المتحدة. إن مشكلة العالم ليست النفط، إنها مشكلة التضخم، وعليه أن يجتمع ويواجهها في واقعية وشجاعة على أن يكون الإجتماع بين محتاجين بعضهم للبعض. وليس من الضرورة أن تجتمع كل دول العالم إنما الدول الأساسية بشكل «قمة إنسانية» فنتناقش وتتخذ قرارات وتوصيات تحيلها على منظمات دولية».

* * *

قبل أن نأتي إلى الإجتماع بالعقيد القذافي تسنت لنا مشاهدة تصوير لقطات حية من فيلم «محمد رسول الله» الذي تشارك ليبيا بفعالية في إنتاجه. وهذه اللقطات صُورت في إحدى ضواحي طرابلس وكانت أبرزها واحدة تمثل أنطوني كوين الذي يقوم بدور حمزة عم الرسول في النسخة الناطقة بالإنكليزية من الفيلم. كذلك تسنت لنا مشاهدة أجزاء منقطعة مما تم تصويره حتى الآن من الفيلم الذي يقوم بإخراجه السوري الشاب المتطور مصطفى العقاد. وكان لقائنا والعقيد القذافي مناسبة لنسأله عن رأيه في الفيلم وعما إذا كان شاهد أجزاء منه. وفي الوقت الذي وقفنا لنودعه قال: «شاهدتُ بعض اللقطات... وبكيت».

نُشر الحديث في صحيفة «النهار» - عدد الإثنين 13 يناير/كانون الثاني 1975

